الموسوعة القبطية الشاملة (١)

(٧)
نظرة على العقائد المسيحية الكبرى

التجسد - الفداء - الخلاص - الكفارة

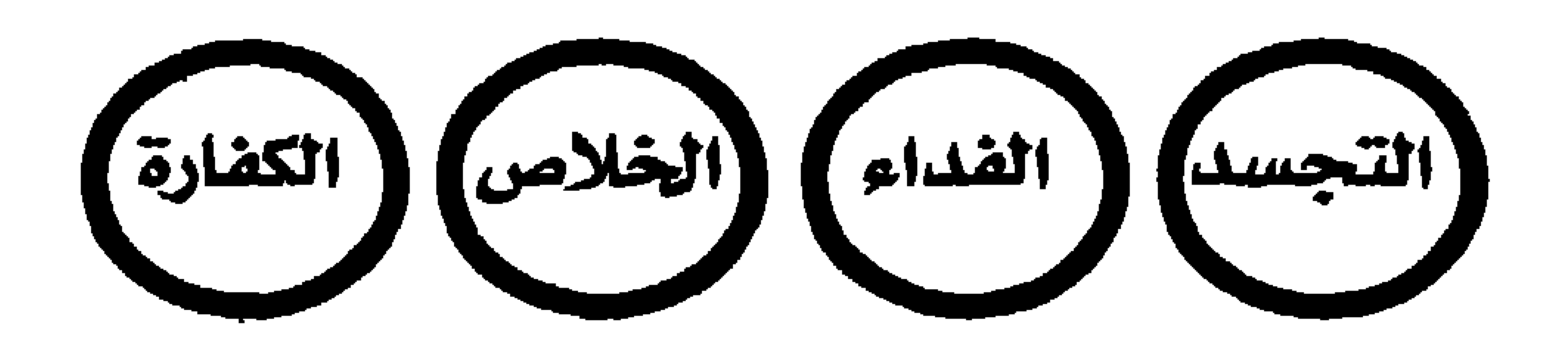
INRI

دياكون
د/ ميخائيل مكسى اسكندر

مكتبة المحبة

مكتبة المحبة

نظرة على العقاد المسيحية الكبرى



على ضوء الكتاب وأقوال الآباء القديسين

(ومقارنة بالديانات الأخرى)

بقلم

دياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر

الـكتـــــــاب : نظرة على العقاد المسيحية الكبرى

إعـــــــــداد : دياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر

الطبـعـة الأولى : ١٩٩٧

رقم اليـــــداع : ١٦٢٤٦ / ١٩٩٩ – I.S.B.N. 977 - 12 - 0443 - 2

المطبــــعـــــة : شركة تريكرومى للطباعة

الـناشـــــــر : مكتبة المحبة



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

نظرة على العقائد المسيحية الكبُرى

«التجسد ـ الفداء ـ الخلاص ـ الكفارة»

مقدمة تاريخية:

منذ أن سقط الإنسان الأول فى هاوية العصيان ـ بإغراء الشيطان ـ حكمت عليه عدالة السماء بالطرد الفورى من الفردوس الأرضى، لكى يعيش فوق كوكب الشقاء، الى أن ينتهى أجله المحتوم ويعودَ الى التراب ـ بينما حتَّمت محبة الله ورحمته أن يفتدى آدم وذريته بالدماء الزكية: «ودم يسوع المسيح إبنه يُطهرنا من كل خطية» (١ يو ١:٧).

ووعد هذا القاضى العادل والعظيم أن يُرسل إبنه الوحيد الجنس، من نسل المرأة (تك ٣) ليموت عوضاً عن البشر الخُطاة، الذين ورثوا جرثومة الإثم، وتناقلت البشرية هذا «الوعد» الإلهى جيلا بعد جيل، حتى أصبح مختزناً فى وجدان الشعوب، ومرت السنين، حتى جاء «ملء الزمان»، الذى تنبأ به الأنبياء، وحدَّدوا مكان مجىء الفادى أيضاً.

ورأى علماء «المصريات» (Egyptology) أن الإيمان بمجىء «المسَّيا» كان واضح المعالم لدى المصريين القدماء، مثلما كان عند العبرانيين سواء بسواء،فقد ذكر الأثرى برستد

(Breasted) {فى كتابه «فجر الضمير»} أن الوعد بالمسيح المنتظر جاء فى آخر أسفار العهد القديم هكذا: «ولكم - أيها المتقُّون إسمى - تُشرق شمس البّر والشفاء فى أجنحتها» (ملاخى ٤:٢)، وهى الصورة التى ابتكرها خيال المصرى القديم {الشمس المُجنحّة} فى تعبيره عن الإله الغير المنظور (١).

كما تعبّد المصريون - فى العصر الفرعونى - للأم «أيزيس» وأحبوّها وهى تُرضع إبنها «حورس»، على مثال أمومة «ام النور» فى أيقونتها التى تُصورّها وهى تحمل طفلها الإلهى يسوع. وهذا الإيمان سطع فى قلوبهم، فمكنهّم من أن يلمحوا قبساً من نور المسيحية قبل إنبثاقه، كما أن كتاباتهم تتشابه الى حد كبير مع أقوال العبرانيين (ومنها بعض المزامير والأمثال)

وقد أشار الأثرى الفرنسى أميلنو(Amélineau) الى الأفكار المتعلقة بالله عند قدماء المصريين، وقال ما ترجمته: «نجد فى كُتب مصر (القديمة) المقدسة، الإعتراف بالخطية الأصلية، والوعد بالإله المُخلّص، وتجديد البشرية» (٢).

(1) Breasted, the Dawn of Conscience, New York 1943,pp. 364 - 84.

(٢) إيريس المصري، قصة الكنيسة القبطية، جـ ١ (١٩٨٤) ص ١٧

ويُسجِّل الكتاب المقدس أن البشرية قد عرفت تقديم الذبائح (القرابين) لله، منذ بدء الخليقة ترضية لقلب الله الغاضب على الخُطاة. ولعل تلك الفكرة مُستوحاة من عمل الله نفسه في الجنة، إذ يذكر التقليد اليهودى التلمودى أن الله قد ستر عُرى آدم وحواء، بعد سقوطهما، بذبح خروفين، وإعطاء جلدهما، لكل منهما «كغطاء لهما» {Covering} (تك ٣: ٢١).

وقال نيافة الأنبا غريغوريوس: «إنه بعد سقوط آدم وحواء انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، فخاطا من ورق التين وصنعا لأنفسهما منه مآزر (تم ٣: ٧) فرأى الرب الإله ما صنعه أدم وحواء عملاً ناقصاً في تغطية عوريتهما، وصنع أقمصة من جلد وكساهما» (تك ٣: ٢١). فأين كان «الجلد» في الوقت الذى لم يكن مسموحاً فيه بأكل اللحوم»؟!.

«فالإحتمال أن يكون ذبح الحيوان بهدف الإستغفار والتكفير عن خطيتهما، وهو رمز للفادى الحقيقى، الذى لم يأتِ زمانه بعد، وقد وعدهما به أن يأتى من نسل المرأة ويسحق رأس الحية أى الشيطان» (تك ٣: ١٥، رو ١٦: ٢٠، كو ٢: ١٥، أف ٢: ٢، ١ يو ٣: ٨، لو ١٠: ١٨، يو ١٦: ١١، أع ٢٦: ١٨) «وذلك لأنه ليس من المعقول - أو المقبول - أن حيواناً يفدى الإنسان أو يشفع في الانسان، وهو أعلى في

مرتبة الوجود من الحيوان الأعجم. إذن فالذبيحة الحيوانية هى مجرد رمز وإشارة لذبيح آخر، هو أعلى مقاماً ومرتبة فى سُلّم الوجود من الانسان، حتى تكون شفاعته - لدى العدل الهى - مُبرراً لرفع الحكم بالموت،الذى صدر على آدم وبنيه من بعده» (١ تى ٢: ٥ - ٦، ٦:٨)۔

وانتقل هذا الفكر الأول الى هابيل الصدّيق، الذى نقله عن أبيه. وقدّم قرباناً لله من خيار غنمه، فنظر الرب الى ذبيحته «الدموية» (تك ٤:٤) بينما رفض تقدمة أخيه التى كانت من ثمار الأرض (تك ٤:٥).

ويذكر وليم سميث: «إن الإنسان قد أحس بغريزته بضرورة تقديم الذبائح لله»، وقال انها كانت منتشرة قبل شريعة موسى، ولم تُحدد أنواعها وأهدافها الدينية، سوى إرضاء الإله. وتوارثتها الأجيال، وظلت الأمم الوثنية تقدم الذبائح للأوثان دون أن تعرف سوى أنها لإرضاء الآلهه، وخاصة لدى الإغريق والرومان وغيرهم من الشعوب.

وقد دُعيت ذبيحة «نوح» التى قدمها لله بعد الطوفان «تقدمة مُحرقة» (تك ٨: ٢٠) burnt Offering . وبعد ذلك أصبحت الذبيحة مرتبطة بقطع العهود مع الله (تك ٩:٨ - ١٧) .

وكانت دعوة الله إلى إبراهيم الخليل لكي يأخذ إبنه إسحق ويُقدمه محرقة (كإمتحان لإظهار طاعته لله). فمضى الى أرض المُريا (موضع هيكل سليمان في القدس فيما بعد)، وقبل أن يمد يده ليذبحه أرسل الله له كبشاً، مات فداءً عن إسحق، وكان رمزاً للمسيح الحي والفادى العظيم، الذى فدي البشر على عود الصليب (تك ٢٢:١٣).

وقدقدّم إسحق ويعقوب وأيوب ذبائح دموية لله. وفي عهد موسي النبي ارتبط الكهنوت اللاوى(هارون ونسله) بالخدمة بمذبح خيمة الاجتماع (ثم فى هيكل سليمان) وتحددت شروطها وأغراضها بالتفصيل فى سفر اللاويين.

وفى الاحتفال بعيد «الفصح» (العبور = Passover = Pasqua) اعتاد بنو إسرائيل إعداد وذبح خروف الفصح تذكاراً للذبيحة التى ذبحوها فى مصر قبل خروجهم الى سيناء، وكانوا قد لطخوا بدمها قوائم وعتبات بيوتهم (على مثال الصليب) وأكلوا خروف الفصح مشوياً مع فطير وأعشاب مُرّة (خر ١٢: ١ - ١١). ولما عبر الملاك المهلك على بيوتهم ورأى علامة الدم لم يمسسهم بسوء، وأصبح خروف الفصح «فريضة» على بنى إسرائيل (خر ١٢:١٤). وقد تمّمها السيد المسيح، قبل تقديم نفسه ذبيحة عن العالم، وكانت رمزاً له: «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبِحَ لأجلنا» (١ كو ٥:٧).

وكان الدم المسفوك لخروف الفصح يشير الى التكفير عن الذنوب، أما شواء وأكل اللحم بالأعشاب المُرّة، فترمز الى مرارة الغُربة والعبودية فى مصر، والى كل ما سيتكبدهُ السيد المسيح من آلام مريرة كالجلد واللطم وإكليل الشوك والمسامير والحربة والصلب، ويشير الفطير (بدون خميرة) الى الطهارة (لا ١١:٢، ١ كو ٥: ٧ - ٨) وإلى الإخلاص والحق، أى إشارة الى أن المشتركين - فى أكل خروف الفصح - ينبغى أن ينبذوا الخبث والمكر والشر، وأن يكونوا فى شركة مقدسة مع الله (شركة / المؤمنين - فى سر الإفخارستيا، بنقاوة قلب، وتوبة صادقة) وفى أثناء عشاء الفصح كان كبير العائلة يحكى للحاضرين تاريخ الفداء، ونجاة بنى إسرائيل من يد فرعون {الذى يرمز للشيطان} وإلى خلاص المسيحى من عبودية إبليس بقبول السيد المسيح فادياً، ويداوم على الإعتراف والتوبة الحقيقية، {ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم «كما غرق فرعون فى مياه البحر الأحمر، يغرق الشيطان فى دموع الباكين»}.

وكان الهدف من الذبائح التى وردت فى الشريعة الموسوية إهراق دم الأضحية (كبش الفداء) لينجو مقدمها من القصاص على خطاياه: «لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة» (عب ٩:٢٢)، لأن «الدم»

(3) Smith, The New Smith's Bible Dict., p. 329.

يرمز الى الحياة، بل هو الحياة نفسها (تث ١٢:٢٣) «لأن حياة الحيوان فى دمه» (لا ١٧:١١،١٤، تث ١٢:١٥ - ١٦).

وبعبارة أخرى، فإن سفك دم الحيوان، بدلاً من الانسان المُذنِب (Offender) يعنى أنه كان مستحقاً للموت بسبب خطيته، ولكن «الضحية» الحيوانية (Victim) قد اهرق دمها فداءً عنه، فماتت وعاش هو نفسه.

ومن الجدير بالذكر أن التوراة قد نصت على أن سافك دم الإنسان (القاتل) يُهدر دمه (تك ٩:٦) بيد السلطة المحلية (وليس بالثأر بيد الأفراد)، وأن فقدان الحياة (للمجرم) هو عقاب لتلك الخطية (عب٩:٢٢).

وأما العبارات التى وردت فى العهد الجديد عن «دم المسيح»، «ودم الحَمَل» فهى تُشير رمزياً الى موت المسيح الكفارى عن البشر (١ كو ١٠:١٦، أف ٢:١٣، عب ٩:١٤، ١بط ١:٢، ١ يو ١:٧، رؤ ٧:١٤).

والآن ندرس معاً مايتعلّق بهذا الموضوع الهام، مع شرح للعقائد المتعلقة به، من نصوص مختلف الأديان السماوية.

✠ ✠ ✠

أولاً: سرّ التجسد الإلهي (Incarnation)

قال الرسول يوحنا البشير: «والكلمة (Logos) صار جسداً، وحل بيننا، ورأينا مجده» (يو١:١٤). ويُسجّل فى إنجيله أن الرسول فيلبُّس قال للمُخلّص: «يا سيد أرنا الآب وكفانا. فقال له يسوع: «أنا معكم زماناً هذه مدته، ولم تعرفنى يا فيلبُّس، الذى رآنى فقد رأى الآب. ألستَ تؤمن إنى أنا فى الآب والآب فىّ؟! صدقُونى (أيها الرُسل الإثنى عشر) إنى فى الآب والآب فىّ، وإلاّ فصدقُونى لسبب الأعمال (المعجزات التى صنعتها) نفسها» (يو١٤: ٨ - ١١).

وقال أيضاً: «الذى كان من البدء (منذ الأزل) الذى رأيناه بعيوننا، الذى شاهدناه ولمستْه أيدينا من جهة كلمة الحياة.. التى كانت عند الآب، وأظهِرتَ لنا، والذى رأيناه (المسيح) وسمعناه نخبركم به» (١يو ١: ٢ - ٣).

وكان السيد المسيح يُثبِت لليهود، بأنه الله الظاهر فى الجسد، بغفران الخطايا وشفاء المرضى من أمراضهم الجسدية، وخلق لهم أعضاء جديدة (راجع مرقس ٢:١ - ١٢، يو٩:١-٧) وبعد القيامة تأكد القديس «توما» الرسول من آثار المسامير

والحـــربة فى جنب الفــادى، وأعلن إيمـــانه، وقـــال له «ربى وإلهى». فـعلّق المُخلّص وقـال:«لأنك رأيتنى يا تـومـا آمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو ٢٠: ٢٦- ٢٩).

فالتجسد ببـسـاطة هو اتخـاذ الإقنوم الثـانى من الثـالوث القدوس (المسيح الابن) جسداً بشرياً كاملاً من العذراء مريم، بحلول الروح القـدس فى أحـشـائهـا الطاهرة، كـمـا أعلنه لهـا رئيس الملائكة غـبريال وقـال «الروح القـدس يحل عليكِ، وقـوة العلى تُظللكِ، فلذلك أيضاً القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله» (لو ١:٢٥) «فهو نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق مساوى الآب فى الجوهر» (قانون الإيمان النيقوى). وقـد دُعى «يسـوع» (Jesus) التى هى فى العـبـرية «يهـوه شوع» أى الله يُخلصُ (وهى فى اليونانية واللاتينية «إيسـو» Jesu : =عيسَى فى القرآن الكريم).

وقـد تجسّـد وتأنسَ، وصـار كـالبـشـر (لأجل خـلاصـهم) وأشـبـهـهم فى كل شئ مـا عـدا الخطيـة وحدها (يو ٨:٤٦) وحمل فى جسده طبيعتيّ اللاهوت والناسوت معاً (كإتحاد الحديد بالنار، كما قال القديس كيرلس الأول عمود الدين). لهذا دُعى «إبن الانسان»، «وإبن الله» أيضاً.

فالرب يسوع لم يأتِ الى عالمنا لمجرد أن يكون معلماً وواعظاً (وإن كانت تعاليمه أعظم ما فى العالم) ولا صانعاً للمعجزات فقط، وإنما جاء أساساً لكى **«يطلب ويُخلّص ما قد هلك»** (مت ١٨:١١) كما أعلنه بنفسه مرات عديدة. كما كان مجيئه الى هذا الكوكب الشقى ليكون عالَماً أفضل (يو ١٢:١٢)، **وليكشف الفادى عن محبة الله ورحمته الواسعة لكل الخطاة. التائبين من كل قلوبهم** (١ تى ١: ١٥) وليُشدّد ويُعطى رجاءً لليائسين والبائسين.

وقد شهد عنه الرسول بولس وقال: **«عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد»**، تبرر فى الروح، كُرِز به بين الأمم (غير اليهود)، أومِن به فى العالم (كله) رُفِعَ فى المجد» (١ تى ٣:١٦).

وقال فى موضع آخر: «يسوع المسيح الذى كان فى صورة الله،لم يُحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً فى شبه الناس. وإذ وُجِد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت - موت الصليب - لذلك رفعه الله (الآب) وأعطاه إسماً فوق كل إسم» (فى ٢: ٥ - ٩).

كما قال الرسول أيضاً: «الذى لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا ،الذى هو صورة الله الغير منظور... وفيه سُّر أن يحل كل الملء» (١ كو ٢٠ - ٢٢)«فإنه فيه يحل ملء اللاهوت جسدياً» (فى ٢:٩).

وقد يستكثر البعض أن يتجسَّد السيد المسيح - بصفته إلهاً ولكى يترك السماء، ويأتى لخلاص الناس؟! مع أن طريقة مجيئه الى العالم تُوضح هذا الهدف، فلم يأتِ من زرع بشر - كالأنبياء والرسل السابقين، وإنما كان «كلمة الله وروح منه» كما تحدث عنه القرآن الكريم، ورفعه فى وصفه له إلى أعلى الدرجات (فوق مستوى البشر).

ولو أنه لا يَصعُب على الله شىء، ولا يعسُر عليه أمر، «لأنه ليس شىء غير ممكن لدى الله» (لو ١:٣٧) كما قال الملاك غبريال لأم النور عند بشارتها بالفادى.

وكل أصحاب الديانات السماوية يعرفون ويؤمنون تماماً - أن الله موجود فى كل مكان من الكون المنظور والغير منظور أيضاً. فمن السهل عليه أن يوجد فى جسم بشرى وفى نفس الوقت يكون فى السماء، مثل قولنا «إن الشمس تملأ الحُجرة»، بينما هى لا تزال فى كبد السماء.

فـمن السـهل على الإله أن يصـيـر إنسـاناً، ولكن من المستحيل مطلقاً أن يصير الإنسان إلهاً. وهو ما يسهُل لليهودى الباحث أن يجده واضحاً فى توراته.

فـالعـهـد القـديم يذكـر **أمثلة كثيرة لظهورات إلهية** (Theophanies) فى صورة ملائكة أو بشر (راجع مثلاً تك ٢٤:٣٣ ـ ٣٠، خر ٣:٢ ـ ٧، ١٤:١٩، يش ٥: ١٣ـ١٥).

وهذا الظهور الإلهى سجلّه سفر التكوين أيضاً ـ وبصورة واضحة ـ إذ نقرأ ما نصّه: «وسمعاً (= آدم وحواء) صوت الرب الإله **ماشياً فى الجنة**، عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وحواء إمرأته من **وجه الرب الإله**، فى وسط شجر الجنة، فنادى الربُ الإله آدم وقال له: أين أنت؟! فقال (آدم): «سمعت صوتك فى الجنة فخشيت ... الخ» (تك ٣:٨ـ١٠).

وقد تحدّث الرب مع موسى النبى من خلال «العُلّيقة» (خر٣:٤)، وعلى جبل سيناء، ورآه موسى هناك، وهو مُختبىء بالجبل (راجع خر ٣٤: ١٨ ـ ٢٣). كما قال سفر اللاويين مانصّه: «تراءى مجد الرب لكل الشعب» (لا ٩: ١٣).

وجاء في سفر الخروج ما يلي: «ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو، وسبعون من شيوخ إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل، ولكنه لم يمد يده إلى (= يُهلك) أشراف بني إسرائيل. فرأوا الله وأكلوا وشربوا (عاشوا)....»(خر ٢٤: ٩ ـ ١٠).

وكذلك تشهد نصوص العهد الجديد، عن تجسُّد وتأنُّس الإله فعلاً، والغاية من الفداء، والتي أعلنها السيد المسيح، في آخر كلمة له على الصليب بعد إتمامه، بقوله: «قد أكمل» (يو ١٩: ٣٠)، وبذلك فتح لنا الفردوس المغلق ونلنا بفدائه التمتع بأمجاد السماء معه.

وقد سأل أحدهم «أما كانت كلمة من الله تكفي لخلاص الإنسان، كما خلقها أصلاً بكلمة منه، بدلاً من أن يتجسَّد الفادي ويتألَّم ويموت عوضاً عن البشر»؟!

وقد أجاب نيافة الأنبا غريغوريوس عن هذا التساؤل، بأن الخلاص لم يُفرض على الانسان قهراً (بدون إرادته، إذ لم يطلبه من الله). وقد قال القديس أغسطينوس: «إن الذي خلقك بدونك، لا يُخلِّصك بدونك». فقد خلق الله الإنسان حُراً، وحقاً إن الله غفور رحيم، لكنه لا يغفر دون أن يطلب منه الانسان الغفران، وبالتالي يكون الغفران أمراً قهرياً (ضد إرادة الانسان).

ويقول قداسة البابا شنوده الثالث: «الله يريد أن جميع الناس يخلصون»(١ تي ٢:٤) ولكن بإرادتهم، أي بقبولهم ورضاهم، ولا يُرغَمون على الخلاص إرغاماً. وقد أعطانا الرب على الصليب خلاصاً مجانياً (رو٣: ٢٤ ـ ٢٥) ومع ذلك فكثيرون لم ينالوا هذا الخلاص المجاني. ونعمة الله قدمّته لهم، ولكنهم رفضوه بإرادتهم، وقيل «إنه جاء الى خاصته وخاصته لم تقبله» (يو ١:١١) «وأن النور (المسيح) قد جاء الى العالم، وأحّب الناس الظُلمة (حياة الخطية) أكثر من النور» (يو ٣:١٩)، وقال أحد القديسين «إن الفضيلة تريدك أن تريدها لاغير» فإن أردّت سوف تعمل النعمة فيك، وتُكمّل العمل كله».

كما أن الله لا يغفر للإنسان بدون ترضّية كافية لعدالته، وقد أخطأ الانسان وأستحق الموت وأبعدت الخطية بين الله والانسان، وفسدَت الطبيعة البشرية. ودخل الموت الى آدم وذريته، ولا يمكن إصلاحه إلا بعملية خلق من جديد للنفس البشرية.

ولذلك فإن المسيحي يخلع ـ في التعّميد ـ ملابسه، وبصلوات الكاهن ينحدر الروح القدس على مياه المعمودية

فيجعلها مياه «نارية» تحرق الطبيعة القديمة الموروثة والملوثة، وتخلق الإنسان الروحي الجديد (٢ كو ٥:١٧ ـ ١٩، غل ٦:١٥) المولود في البرّ.

ولهذا، فقد شاء الله من فيض حبه للإنسان، ومن عمق إرادته الخيرّة أن يردّ اليه ما فقده من قداسة بالخطية، ويخلقه من جديد، ومن ثم تجسّد وتأنّس الفادى وقَبِل في جسده حكم الموت الذى استحقه الانسان بخطيته، ويفديه منها برحمته، دون أن يهدر عدله.

وقال الكتاب «ليس حُب أعظم من هذا أن يبذل أحد نفسه عن أحبائه» (يو ١٥:١٣) «لكن الله بيّن (برهن على) محبته لنا. إذ إننا وإن كنا بعد خُطاة، مات المسيح لأجلنا (عوضاً عنا)...» (رو ٥:٨) «بهذا قد عرفنا المحبة، بأن ذاك (المسيح) بذل نفسه لأجلنا» (١ يو ٣:١٦) «بهذا أظهِرَت محبة الله فينا، أن الله قد أرسل إبنه الوحيد إلى العالم لكى نحيا به. تلك هى المحبة، إننا لم نكن نحن الذين أحببنا الله، بل إنه هو الذى احبنا، وارسل إبنه كفارة لخطايانا» (١ يو ٤: ٩ ـ ١٠).

✠ ✠ ✠

ثانياً: الفـــداء (Lutrosis = Redemption)

الكلمات الكتابيـة: « يفدى، يفتدى، فادى، فداء» تعنى فى العـهـد القـديم «خلاص الجسد» (تث ٧:٨، ١٣:٥). أما فى العـهـد الجـديد فـتـشـيـر الى **خلاص النفس من الخطية الجدّية** (تى ٢:١٤، عب ٩:١٥) والتـخلُّص مـن نتـائجـهـا الرديَّة (مت ٢٠:٢٨، مر ١٠:٤٥، ١ تى ٢:٦).

«والفدية» (ransom) فى العبّرية ـ كـالعـربّيـة ـ هى «فدآه» (Pedah) وتعنى حرفيـاً التـحـرُّر من عـبـودية الديون الثقيلة. وترمز روحياً الى التحرُّر من قيود الخطية، والصفح عن الآثام (ga'al).

وكانت العـادة القديمة أن يدفع العبد ـ أو أسير الحرب ـ **فدية مالية مُعيّنة** (أو ديّة) يفتـدى بـهـا نفسه مـن حياة العبودية، أو مـن الأسـر (خـر ١٣:١٣، ٢١:٣٠). وفـى نفـس الوقـت، لـم يكـن مـن الممكـن أن يفـدى القـاتل نـفـسـه بالمـال (عـد ٣٥: ٣٠ ـ ٣١) بل كان لابُد من قتله (موته) بذنبـه، وبالمثل لم يكن مـسـموحاً بفداء المجرمـين الآخرين (لا ٢٧:١٩) ولكن

الرب يسوع مستعد دائماً «لفداء» أعتى المجرمين والأشرار، طالما آمنوا بخلاصه، وندموا على شرورهم، وتمتعوا بأسراره وبوسائط نعمته المقدسة، والأمثلة كثيرة: «مثل اللص اليمين وأغسطينوس وموسى الأسود وبلاجية ومريم المصرية وتاثيس وغيرهم كثيرون، فى كل زمان ومكان»

وأما كلمة «الفادى» (go'el = redeemer) فتعنى المخلّص للنفس، أو المُنقِذ من الخطر (Saviour)، وهو الرب «يسوع المسيح» ، الذى يُحرِّر كل من يؤمن به ويعتمد على إسمه، ولا يزال يُحرِّر كل نفس (تعرفه وتؤمن بخلاصه)، من قبضة إبليس، ومن عبودية الموت الأبدى، المقرر كعقاب للخطية التى يرتكبها البشر (أع ٢٦:١٨، عب ٢: ١٤ ـ ١٥).

وبالإيجاز، فالفداء هو سر خلاص البشرية، وبدون الفادى (الرحمة المُهداة الى العالم) ليس سوى الهلاك بالموت الأبدى المحكوم به على الجنس البشرى (تك ٢:١٧).

والفداء هو الحل العملى لخلاص بنى آدم، لأنه يتوافق فيه العدل الإلهى مع الرحمة، فالله عادل جداً فى رحمته، ورحيم جداً فى

عدله، فقد حكم القاضى الأعظم على آدم بالموت، ونفذ الحكم على نفسه، حسب الوعد الذى قطعه على نفسه، وهو ما تغنّى به المرنم وقال «سبيل الرب رحمة وحق (عدل)........» (مز ٢٥ : ١٠) «يُرسل رحمته وحقه (عدله)....» (مز ٥٧ : ٣) «فديتنى يارب إله الحق» (مز ٣١ : ٥) «فدى بسلام نفسى» (مز ٥٥ : ١٨).

وقال داود النبى أيضاً: «الرب مُجرى العدل.... الرب رحيم ورءوف، طويل الروح وكثير الرحمة، الذى يغفر جميع ذنوبك، الذى يفدى من الحُفرة (جهنم) حياتك الذى يُكلّلك بالرحمة والرأفة» (مز ١٠٣ : ٣ - ٨).

وقال سليمان الحكيم: «التابع العدل والرحمة» (أم ٢١ : ٢١) وقال إرميا النبى عن اللّه: «الصانع رحمة وقضاءً وعدلاً» (إر ٩ : ٢٤).

وقد وعد الرب بفداء الآباء القدامى، وكل قديسّى العهد القديم، الذين انتظروا - على رجاء - سرعة مجيئه لخلاص العالم، الموعود به لهم (أش ٢٩ : ٢٢، ٤٤ : ٢٣، إر ٣١ : ١١،

٢ صم ٤:٩، ١ مل ١:٢٩، مز ٣٣:١٨، ١٤٧:١١) وقال: «أجمعهم (فى الفردوس) لأنى قد فديتهم» (زك١٠:٨). وكانت خطة فداء البشرية مُعدةً قبل تأسيس العالم، لسابق علم الله بسقوط الانسان (١ بط ١:١٩ـ ٢٠، رؤ ١٣:٨).

وهذا الفداء الكامل تم على الصليب، وكان رمزه «القديم» تقديم ذبائح حيوانية، كانت تتكرر بعد كل مرة يرتكب فيها الخاطىء إثماً ويعترف به أمام الكاهن، وتموت عنه الذبيحة كما سبقت الإشارة (عب ٢:٩، ١ تى ٢: ٥ ـ ٦، رو ١٥:١٨، ٢ كو ١٤ ـ ١٥).

وهكذا كان لابُد أن يموت المسيح لكى يفدينا من لعنة الناموس (رو ٥: ٦ ـ ٨، ١ كو ١٥:٣، ٢ كو ٥:٢١، غل ٣:١٣، تى ٢:١٤، ١ بط ٢:٢٤، ٣:١٨). كما أن هذا الموت الكفّارى يُوضّح أيضاً مدى شناعة الخطية، وغضب الله على الخُطاة، كما يُظهِر حُبه العظيم للخاطىء التائب (رو ٣:٢٥ ـ ٢٦، ٥: ٦ ـ ٨).

وفى هذا الفداء الإلهى، كان السيد المسيح «نائباً» عن

كل البشر (Vicarius)، أى أنه تحمَّل عقاب الخطية نيابة عن بنى آدم - وفاءً للعدل الإلهى - كما ذكره القديس إيريناوس (١٨٠م) والعلاّمة أوريجانوس (٢٣٠م) والقديس غريغوريوس النيصى (٣٧٠م) والبابا القديس أثناسيوس الرسولى (٣٧٠م) والقديس غريغوريوس النزينزى (٣٩٠م)، أو كان هذا الفداء لإرضاء قلب الله الآب كما قال اللاهوتى الكاثوليكى أنسلم Anselm[1] (١١٠٠م)، أو بالأحرى محبة المُخلِّص للبَشر، كما قال أبيلار Abelard (١١٤١م) وبه أيضاً صارت «المصالحة» بين السماء والأرض، كما قال جروتيوس Grotius (١٦١٧م)، الذى أكد على أنه قد تم الفداء لإرضاء قلب الله أيضاً (٢).

وإذا ما رجعنا للعهد القديم:

نجد أن أشعياء النبى (٧٠٠ق.م) قد حدَّد ملامح الفادى الإلهى ومكان مجيئه، فقال: «فاديك قدوس» (أش ٤١: ١٤،

---

(1) Anselm, Cur Deus Homo, quoted by Unger, Dict., of The Bible, art. Redeemer.
(2) Grotius, Defensio Fidei de Satisfactione, Unger, Idem.

١٧:٤٨)، «فاديكم قدوس إسرائيل» (أش ١٤:٤٣) «فادينا رب الجنود» (أش ٦:٤٤، ٤:٤٧) * شعباً مقدساً، مفديّ الرب» (أش ١٢:٦٢)، «ويأتي الفادي الى صهيون (القدس)...» (أش ٢٠:٥٩). وأكد الرب على ضرورة قيامه بعملية فداء الإنسان وقال: «هل قَصرُت يديّ عن الفداء؟! وهل ليس فيّ قدرة للإنقاذ؟!» (أش ٢:٥٠)، وأعلن الرب ذلك على لسان هوشع النبي وقال: «أنا أفديهم» (هو ١٣:٧) «من يد الهاوية (الجحيم السُفلى) أفديهم» (هو ١٤:١٣).

وهو المبدأ الذى أشاراليه أيوب الصِّديق أن الرب «سيفدى البشر من الحُفرة (جهنم)...» (أى ٢٤:٣٣)وقال داود النبى «يفدى من الحُفرة حياتك» (مز٤:١٠٣) «الرب فادي نفوس عبيده» (مز ٢٢:٣٤) «الأخ لن يفدى الانسان.. إنما الله يفدى نفسى» (مز ٧:٤٩،١٥) «أرسل أبنه فداءً لشعبه» (مز ٩:١١١)، ولهذا كرر المرنم الطلب لكى يُسرع الرب لكى يأتي ويفديه (مز ١١:٢٦، ٢٦:٤٤، ١٣٤:١١٩).

أما أشعياء النبى قد تخيَّل الفادى مصلوباً أمامه (بروح النُبوّة) وقال بالتفصيل: «أحزاننا حمَّلها، وأوجاعنا تحمَّلها

(عنا)، وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا، وبحُبُره (جراحاته) شُفينا. كلنا كغنم ضللْنا... والرب وضع عليه إثم جميعنا».

ويسترسل النبي في وصفه للفادى (قبل مجيئه بسبعة قرون) ويقول «كشاة تُساق الى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازّيها فلم يفتح فاه ... أما الرب فسُر بأن يسحقه بالحزن، إن جعل نفسه ذبيحة إثم... سكب للموت نفسه، وأُحصِيَ مع أثمة (اللصين) وحمل خطية كثيرين، وشفع فى المذنبين» (أش ٥٣: ٤ - ١٢).

أما فى العهد الجديد:

فقد وضحت صورة الفداء أكثر، خاصة بعدما انتظر اليهود فادياً ومخلصاً لهم (لو ٢: ٣٨) ولكن كانت نظرتهم إليه غير نظرة المسيحية بالطبع، فقد كانوا ينتظرون فادياً من طراز شمشون، يُقيم لهم مملكة كُبرى مثل داود وسليمان. ورفضوا «الفادى يسوع»، ولايزالون ينتظرون هذا الفادى بهذه الصفات!!

أما الذين أنار الروح القدس أذهان قلوبهم فقد قَبلُوا بالمسيح مُخلِّصاً، وهو ما أعلنه زكريا الكاهن وقال: «إن الرَب قد إفتقد وصنعَ فداءً لشعبه» (لو ١: ٦٨).

وشهد يوحنا المعمدان بأن المسيح يسوع هو الفادى وقال «هوذا حَمل الله الذى يرفع خطية العالم». (يو ١: ٢٢،٣٦).

وقد أكد الرب يسوع أنه هو الراعى الصالح الذى يبذل نفسه عن خرافه، وقال أيضاً: «إن ابن الإنسان لم يأتِ (إلى العالم) ليُخْدَم بل ليخدِم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (مت٢٠:٢٨، مر ١٠:٤٥).

وكان شاول الطرسوسى يضطهد المؤمنين بالفادى، فلما أحبَّه الله وخلَّصه، شهد له الرسول بولس - مرات عديدة - بأنه: «بذل نفسه فدية لأجل الجميع» (١ تى ٢:٦) وأنه «أفتدانا من لعنة الناموس» (غل ٣:١٣) «ليفتدى الذين تحت الناموس» (غل ٤:٥).

وأنه «يفدينا من كل إثم» (تى ٢:١٤) «الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا، حسب غنى نعمته» (أف ١:٧، كو ١:١٤).

وقال أيضاً: «لأن المسيح إذ كنا ضُعفاء (مَرضَى بالخطِّية) مات (على الصليب) فى الوقت المُعَّين، لأجل الفُجاز، فإنه

بالجهد يموت أحد لأجل بار، ربما لأجل الصالح يجسُر أحد أن يموت، ولكن الله بيّن (أظهر) محبته لنا، لأنه ونحن خُطاة مات المسيح لأجلنا... ونحن الآن مُتبرّون بدمه، نخُلص به من الغضب (الآتى)... » (رو ٥:٦ ـ ١١).

كما يقول الرسول أيضاً «كما بخطية واحدة (للإنسان الأول) صار الحُكم الى جميع الناس للدينونة (إنتقلت جرثومة الشر الى الناس كلهم). هكذا ببّر واحد (المسيح الفادى) صارت الهبة (الخلاص المجانى) الى جميع الناس، لتبرير الحياة، لأنه بخطية الواحد (آدم) جُعل الكثيرون خُطاة (ورثة الخطية الأصلية) هكذا أيضاً بإطاعة الواحد (الفادى) سيجعل الكثيرون أبراراً... وحيث كَثُرت الخطية ازدادت النعمة جداً،حتى كما هلكت الخطية (فى الجسد البشرى) فى الموت (قادت للهلاك) هكذا تملك النعمة بالبرّ للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا» (رو ٥: ١٦ ـ ٢١) «الذى بذل نفسه لأجل خطايانا، ليُنقذنا من العالم الحاضر الشرير، حسب إرادة الله» (غل ١:٣).

وشرح الرسول بطرس أهمية هذا الفداء قائلاً: «عالمين إنكم أُفتديتم لا بأشياء تفنى ـ بفضة (مال) أوذهب... بل بدم

كريم، كما من حَملٍ بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، معروفاً سابقاً، قبل تأسيس العالم، ولكن قد أُظهِر فى الأزمنة الأخيرة من أجلكم» (١ بط ١: ١٨ ـ ٢١).

وعلى أية حال، فصوت الروح القدس ـ لكل نفس ـ ينادى دائماً ويقول: «إرجع اليَّ لأنى فديتك» (أش ٤٤:٢٢).

✠ ✠ ✠

من بركات الفداء

«١» الغفران: (Forgiveness)

يقول الوحى المقدس: «بدون سفك دم (المسيح) لا تحصُل مغفرة» (عب ٩:٢٢)«لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا» (أف ١:٧) «لأنه حمَل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة» (١ بط ٢:٢٤).

وهو يقبْل كل من يأتى إليه ـ مهما كانت خطاياه ـ ووعد بأنه: «لا يُخرجه خارجاً» (يو٦:٣٧) وأكد على ذلك بقوله: «قد محوتُ كغيمة ذنوبك، وكسحابة خطاياك» (أش ٤:٢٢): «أنا أنا هو الماحى ذنوبك، وخطاياك لا أذكرُها»

(أش ٤٣: ٢٥) «لأنــك طـرحت ـ وراء ظهـــرك ـ كل خطاياى (أش ٣٨: ١٧)» «كبُعد المشرق عن المغرب، أبعد عنا معاصينا» (مز ١٠٣: ١٢).

(٢) التطهير (Purification)

فالغفران يخص الماضى، وأما التطهير فيخُص الحاضر «ودم يسوع المسيح إبنه يُطهرنّا من كل خطية» (١ يو١: ٧). والمؤمن لديه دائماً الرجاء فى رحمة الله، وفى **تطهيره تماماً من كل خطاياه.**

(٣) التقديس: (Sanctification)

فى المسيح «يقدّس الشعب بدم نفسه» (راجع عب ٩: ١ـ ٢٢) والفعل «قدّس» (وفى العبريّة qadash) يخص مستقبلنا الروحى. والمقصود به التخصيص والتكريس، والتقديس للنفس. فالروح القدس الذى نلناه بالميرون المقدس (بعد العماد) يشتعل فى النفس بفعل ممارسة وسائط النعمة (التناول ـ الصوم ـ الصلاة ـ الترنيم والتسبيح ـ العطاء ـ الخدمة ـ القراءات الروحية ... الخ). فيزداد عمله فى قلب المؤمن، ويزيد تكريس القلب والفكر والحواس والمشاعر والإرادة والأعمال والخطوات.

«٤» الثبات فى المسيح (to abide in Christ)

إذ أعلن الفادى هذه الحقيقة بقوله: «مَنْ يأكل جسدى، ويشرب دمى، يَثبُت فيَّ وأنا فيه» (يو ٦:٥٦) وكلما تناولنا من السر الأقدس كلمازاد ثباتنا في الرب، وزاد ثبوت الله فينا، وبذلك يساعدنا على غلبة الخطايا وأمكن الإنتصار على العادات الشريرة، فنقول مع الرسول: «أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يُقوِّينى» (فى ٤:١٣).

لذلك ينبغى أن نُسرع بطاعة صوته: «أثبتوا فيَّ» (يو ١٥:٤) ولنُكثِر من الإعتراف والتناول من السر الأقدس، على فترات متقاربة، فيعمل فينا الروح القدس، ويصير «دواءً وشفاءً وعزاءً للمؤمن».

«٥» الحياة الابدية: (Eternal Life)

إذ قال الفادى «من يأكل جسدى، ويشرب دمى، فله حياة ابدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير» (يو ٦:٥٤) (١). ومن لا يتناول من الجسد والدم الطاهرين يحرم نفسه - بإرادته - من التمتُّع بالأبدية السعيدة، مع الفادى وملائكته وقديسيه.

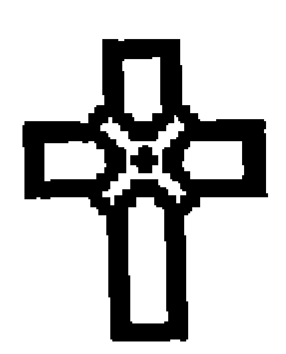
---

(١) نيافة الأنبا موسي، أسقف الشباب؛ فعاليات الفداء (مقال بوطني).

٦» التبنى : (Adoption):

أى أن نصيـرأبناء الله (يو ١: ١٢ ـ ١٣) أو أبناء الملك وورثة لملكوته: «إذ سبق **فعيّننا للتبنّي بيسوع المسيح لنفسه**، حسب مسرّة مشيئته»(أف ١: ٥)، «ليفتدى الذين تحت الناموس لتنال التبنّي، إذن لستُ بعد عبداً، بل إبناً، وإن كنتُ إبناً فوارث لله بالمسيح» (غلا ٤: ٥ ـ ٧). أى أن الله قد تبنّى المفديّين، فاستحقّوا الميراث الأبدى: «الذى لا يفني ولا يضمحل ولا يتدنّس، المحفوظ لهم فى السموات» (١ بط ١: ٤).

وإذا كان اليهود ينتظرون فادياً ومخلصاً من نوع خاص، يأتيهم فى آخر الزمان [٢] (ولن يأتِ سوى فادينايسوع)، فإن الشيعة ـ فى إيران ـ ينتظرون بدورهم مجىء «المهدى المنتظر»، كما ينتظر الإخوة المسلمون مجىء «عيسى» (المسيح الحى) مرة أخرى الى دُنيانا: «ليكون حكماً مُقسّطاً (عادلاً)...» كما جاء فى الحديث الشريف!! وكل المسيحيين المؤمنين المستعدين يقولون الآن: «آمين تعال أيهاالرب يسوع»(رؤ ٢٢: ١).



(2) Unger,Op. cit, Redeemer, P. 915.

ثالثاً: الكفّارة (Atonement = Kaphar)

الكلمة العبريّة ـ والعربية: «يكفّر» [عن السيئّات] (عب ٢:١٧) تعنى حرفياً تغطية الخطايا بدم المسيح (Kaphar=Cover)، أو «محوها» حسب النص اليونانى فى العهد الجديد (Katallage=Cancel) أو قد تعنى أيضاً «المُصالحة» بين الله والناس (reconciliation) أى أنه بموت الرب يسوع الكفّارى على عود الصليب قد صالح (Hilaskomai) السمائيين مع الأرضيين،وجعل الإثنين واحداً (القداس الغريغورى).

وقال القديس بولس: «صَالح الكل لنفسه، عاملاً الصُلح بدم صليبه... صالحكم الآن فى جسم بشريته بالموت» (كو ١: ١٩ ـ ٢٢). وقال أيضاً: «مُتبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح، **الذى قدّمه الله كفارة**، بالإيمان بدمه، لإظهار برّه من أجل الصفح عن الخطاياالسالفة بإمهال الله» (رو ٣:٢٥).

وقال القديس يوحنا الإنجيلى الحبيب: «إن أخطأ أحد، فلنا

شفيع عند الآب: يسوع البار، وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا (نحن) فقط، بل (كفّارة) لخطايا كل العالم أيضاً» (١ يو ٢: ١ ـ ٢).

وقال أيضاً: «بهذا أُظهِرَت محبة الله فينا: أن الله أرسل إبنه الوحيد الى العالم لكي نحيا به، في هذا (= التجسد والفداء) هي المحبة (العمليّة) ليس نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبّنا، وارسل إبنه كفارة لخطايانا» (١ يو ٤: ١٠).

وقد أشير الى تقديم ذبائح «الكفارة» في التوارة ليصفح الله عن الخُطاة (خر ٣٠:١٦، لا ٤:٢٠، ٢٦، ٣١، ٣٥).

وقد توضح في الشريعة الموسوية أنه كان يلزم على الخاطيء اليهودي أن يداوم المجيء الى الكاهن اللاوي ـ ومعه ذبيحة مناسبة ـ على قدر استطاعته مالياً ـ ويقدمها «قُرباناً لله {Korban=Sacrifice=offering} ويضع يده عليها، ويُقرّ بكل ذنوبه ـ أمام الكاهن ـ في حضرة الله، ثم يقوم الكاهن بذبح ما قدّم التائب، لكي تموت الذبيحة عنه، تكفيراً لذنوبه وسيئاته (لا ١: ١ ـ ٤، ٥:٥، عد ٥:٧).

وقد تضرع داود النبى الى الرب، نيابة عن شعبه، قائلاً: «معاصينا انت تكفّر عنها» (مز ٦٥:٣)، وليس أى حيوان بالطبع يمكن أن يقوم بهذه المُهّمة الكفاريّة.

وأما «يوم الكفارة» (y'om hakkipporim): فهو اليوم العاشر من الشهر العبّري السابع (تشري=أكتوبر) أعظم يوم عند اليهود؛ وكان يوم صوم طول النهار؛ وفيه إتضاع وتذلل؛ وطلب التكفير عن خطايا الشعب ورجال الدين والمعبد؛ إذ كان رئيس الكهنة يدخل في هذا اليوم فقط (مرة واحدة سنوياً) الي قدس الأقداس (بخيمة الاجتماع ثم بالهيكل فيما بعد) ويُقّدم الذبائح؛ للتكفير عن القدس وقدس الأقداس؛ وعن الكهنوت؛ وعن الشعب كله (لا ١٦: ٢٣؛عد ٢٩).

ويرمز هذا العمل الطقسي القديم الي دخول رئيس الكهنة الأعظم - الرب يسوع - مرة واحدة الي السماء؛ بعدما أكمل خلاصنا الأبدي (عب ٩: ١ - ١٢؛ ٢٤ - ٢٨) إذ أنه «قد أحبّنا وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً؛ وذبيحة لله؛ رائحة طيبة» (أف ٥:٢).

ويؤكد الإسلام صحة عقيّدتي الفداء والكفّارة - في

العهدين اليهودي والمسيحي - إذ تُوضح سورة البقرة (٦٦ـ ٧٠) شروط الذبيحة؛ أو الأضحية التي تقدم قرباناً لله (كما وردت في سفر اللاويين تماماً :٤ـ٦).

وقد سجّل القرآن الكريم طاعة إبراهيم الخليل لله تعالي؛ عندما طلب منه الرب تقديم إبنه ذبيحة؛ وأن الله «قد فداه بذبحٍ عظيم»؛ وهو ما يتطابق مع قول الوحي المقدس في سفر حزقيال النبي «ذبيحتي ذبيحة عظيمة» (حز ٣٩:١٧)؛ وهو مايؤمن به المسيحيون أنه يرمز للمسيح «الذبيح العظيم»؛ وهو الذي يحتفل به المسلمون احتفالاً عملياً بتقديم الأضحية الحيوانية (في عيد الأضحي المبارك) وهو يقابل عيد قيامة الفادي من الأموات بعد إتمام الكفّارة عن البشر.

وقد جاء في الحديث الشريف: «يا فاطمة قومي الي أضحيتكِ (في عيد الأضحي) فاذبَحيها؛ فإن لكِ بأول قطرة من دمها أن يغفرالله لكِ ماتقدّم من ذنوبكِ وما تأخّر».

وقد جاء في الحديث الشريف أيضاً: «مع الغلام (المولود في سبوعه) عقيقة (شاة) فأذبحوها؛ وأميطوا عنه الأذي». وهو

ما أشار اليه قول داود النبى: «لأنه بالآثام حُبِل بى؛ وبالخطايا ولدتّنى أمى» (مز ٥٠) واذا كان الانسان يرث بعض الأمراض البدنية والنفسية من والديه؛ فهو أيضاً يرث أمراضه الروحية، (وما شابه أباه فما ظلم).

وقد حضر كاتب هذه السطور- ذات مرة - مراسم دفن أحد الزُملاء المسلمين، وشاهد أهل المتوفى يذبحون بقرة أمام قبره بعد دفنه، وسال دم الذبيحة أمام فم القبر، وقيل لنا تعليلاً لذلك: «فداءً له من النار»..

كما نرى فى الإسلام تأكيداً أيضاً على أهمية عقيدة الكفارة فى اليهودية والمسيحية فقد جاء فى سورة البقرة (آية ٢٧٠) ما نصّه: «إن تبدُوا الصدقات فنعماً هى، وإن تخفُوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم، ويُكفِّر عنكم سيئاتكم».

كما نقرأ فى سورة آل عمران(آية ١٩٢) مانصّه: «ربنا إننا سمعنا مُنادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمّنا. ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا، وتوفّنا مع الأبرار» (وهذان المثالان هما على سبيل المثال لا الحصر).

رابعاً: الخلاص (Salvation)

الكلمات العبرّية الكثيرة (في العهد القديم) واليونانية أيضاً (في العهد الجديد) للخلاص تعني النجاة والإنقاذ من الخطر، والراحة من التعب، (Safety,deliverance,ease) (١) . وكلمة «المُخلِّص» Saviour تعني حرفياً مُنقذ الناس من الخطر الداهم (Save,deliver). راجع :{خر ١٤ :١٣، ٢ صم ٢٢ :٥١، مز ١٨ :٥٠، ١ أي ١١ :١٤، مز ٤٤ :٤، عب ١١ :٥٧، ١ بط ٣ :٢٠}، وهو بالطبع يسوع المسيح الفادي: «لأنه ليس بأحد غيره الخلاص» (أع ٤ :١٢) وهو ما ذكره أيضاً العهد القديم (٢ صم ٢٢ :٣٠، مز ١٠٦ :٢١، هو ١٣ :٤).

وقصة «الخلاص»، في الكتاب المقدس، تتخلّل معظم أسفاره (من التكوين الى الرؤيا)، وكانت عملية الخلاص من الخطية - في العهد القديم - ممثلة في الذبائح الحيوانية الكثيرة الأنواع، التي كان يُقدّمها الخُطاة فدية عن خطاياهم - كما ذكرنا من قبل - ولكن في العهد الجديد عرفنا أن الموعد قد

(1) Unger, op. cit., p. 956.

حل لكى يُبطِل الرب فيه قبول ذبائح حيوانية، ليُقدِّم الفادى الحقيقى ذبيحة نفسه لأجل خلاصنا، وهو ما تنبأ به الأنبياء، القدماء «ليُبطِلَ الخطية بذبيحة نفسه» (عب ٩:٢٦) وهو الحَمَلَ المذبوح (رؤ ١٣:٨) «الذى ذُبِح لأجلنا» (١ كو ٥:٧).

وقد أشار اليه دانيال النبى (دا ٩:٢٧) موضحاً موعده ومكانه، وأعلن صفنيا النبى - بروح النبوة - أن الرب قد أعدَّ الذبيحة بنفسه لتقديس مدعُّويه (صف ١:٧) كما أكده النبى الأنجيلى اشعياء عن الفادى، الذى «جعل نفسه ذبيحة إثم» (أش ٣:١٠).

وقد آمن داود النبى بقيام الله بعملية خلاص الناس - وخلاص نفسه - من الخطية الموروثة فقال: «الرب نورى وخلاصى» (مز ٢٥:٧) «الرب لنا إله خلاص» (مز ٦٨:٢٠، ٢٨:٨، ٦٠:١١، ١٠٨:١٢).

وطلب من الرب - مرات عديدة - قائلاً: «خلصنى من اجل رحمتك» (مز ٦:٤، ٣١:١٦، ٩:١٠٩:٢٦) وقال أيضاً: «إسندنى فأخلُص»(مز ١١٩:١١٧)، «أنر بوجهك فنخلُص»

(مز ٣:٨٠). وبعد سقطته وتوبته قال للرب: «إمنحنى بهجة خلاصك» (مز ١٢:٥١). وقدم شكراً مُسبقاً وقال «أشكرك (يارب) لأنك استجبّت لى وصرّت لى خلاصاً (=مُخلّصاً)... » (مز ٢١:١١٨) «ونترنّم بخلاصك» (مز ٥:٢٠).

ونفس الوضع ذكره حبقوق النبى، وأعلن بروح النبوة عن مجىء الفادى وقال: خرجْتَ (نزلْتَ من السماء) لخلاص شعبك» (حب١٣:٣). وحدّد أشعياء النبى مكان إتمام الخلاص على الأرض، وقال بلسان الوحى المقدس: «وأجعل فى صهيون (أورشليم= القدس) خلاصاً» (أش ١٣:٤٦) وقال عن مهام المخلّص الإلهى: «يُرسل لهم مُخلصاً ومُحامياً (=البراقليط)....» (أش ٢٠:١٩) وعن شخصيته قال «قدوس إسرائيل (هو) مخلّصك» (أش ٣:٤٣). «ومخلّصك آتٍ» (أش ١١:٦٢).

وقال الرب لأشعياء: «أنا الرب مُخلّصك» (أش ٢٦:٤٩، ١٦:٦٠) «بار ومخلّص ليس سواى» (أش ٢١:٤٥) «ولامُخلِّص غيرى» (هوشع ٤:١٣)، «وأفديّهم من

الموت (الهـلاك الأبدى) وأخلّصـــهم» (هو ١٣ :١٤) «أخلصّكم فتكونون بركة» (زك ٨:١٣).

أما مـيخا النبى فقد إنتظر بصبـر «خـلاص الـرب» (مى ٧:٧) بينما فرح أشعياء مقدماً بهذا الخلاص السمـائى، وشـكر اللـه وقـال «أبتـهج وأفـرح بخـلاصـه» (أش ٢٥:٩). وقـال يونان النبى فى صـلاته (وهوفى بطن الحـوت) «للرب الخـلاص» (يونان ٢:٩). وفـعـلاً خلصّـه الله من عُـمق البحـر، ومضى الى خدمته، بعدما أحس بخطيته وندم عليها.

ويمتلىء العهد الجديد بالشهادات عن مـــجىء المُخلّص الإلهى، وعن عـمله الفـدائى «والخلاصى»، الذى أعـلنه الملاك غـبرّيال ـ للقـديس يوسف النجـار ـ وقـال له فى حلم إن خطيبته العـذراء ستلد إبناً، وتدعـو إسمـه «يسوع»، لانه يُخلّص شعبه من خطاياهم» (مت ١: ٢٠ ـ ٢١).

وهناك شخصيات روحية شهدت بهذا الخلاص وشاهدته، وعلى رأسهم جميعـاً: ام النور مريم، التى رنّمت وقـالت:«تُعَظّم

نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مُخلِّصى» (لو ١:٤٧).

وشهد يوحنا المعمدان عن المسيح الفادى بقوله «يُبصر كل بشر خلاص الرب» (لو ٣:٦). أما سمعان الشيخ، فكان ينتظر تحقق وعد الله له (منذ عام٢٨٢ ق.م) بمجىء المُخلص الموعود به في سفر أشعياء من عذراء (أش ٧:١٤). ولما أرشده الروح القدس الى المولود الإلهى «يسوع» حمله على ذراعيه، وشكر الله، وقال: «الآن تطلق عبدك، يا سيد - حسب قولك - بسلام، لأن عينىَّ قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قُدامٌ وجه جميع الشعوب» (لو ٢: ٢٨- ٣٠).

وفى نفس الوقت وقفت حنة النبية تُسبِّح الله. وتكلمت عن يسوع الفادى «مع جميع المنتظرين فداءً فى أورشليم» (لو٢: ٦٣ - ٣٨) وقال زكريا الكاهن «أقام الله لنا قرن خلاص، كما تكلّم بفم أنبيائه القديسين»(لو ١:٦٩).

وقد شهد جميع تلاميذ المسيح (رسله الإثنى عشر

والسبعين مع المريمات عملية إتمام الفداء على عود الصليب، وشاهدوا خلاصه، وصاروا شهوداً له، وبشروا به، وسجلوا أحداثه، وماتوا من أجل الإيمان «بالفادى المُخلّص».

وفى يوم الخمسين (عيد حلول الروح القدس) وقف القديسان بطرس ويوحنا - مع بقية الرسل - وخاطبا «الآلاف» عن قصة الخلاص، وقال القديس بطرس لرؤساء الكهنة اليهود بشجاعة وصراحة: «إنه ليس بأحد غيره (=المسيح) الخلاص، لأن ليس إسم آخر - تحت السماء - قد أُعطِىَ بين الناس به ينبغى أن نخلّص» (أع ٤:١٢). وكسبا ٣٠٠٠ نفس للإيمان المسيحى.

وشهد رئيس الشمامسة «إسطفانوس» أمام طوائف اليهود عن الفادى، مستشهداً بنصوص العهد القديم عن الخلاص،، وتمسك بإيمانه بالفادى حتى نال إكليله (أع٧:٥٩).

وبعدما غيرّ الرب قلب شاول الطرسوسى المُتعصّب، وعرف الحق، بدأ «بولس» يجاهر بالخلاص، فى كل مكان ذهب إليه حتى نال إكليله فى روماسنة ٦٧ م .

وشهد القديسان برنابا ومارمرقس الرسول للمسيح المُخلّص فى قبرص (أع ١٥:٣٩)، وظل مارمرقس مع خاله حتى نال إكليله، ثم خدم فى أوربا وإفريقيا، حتى أستشهد على إسم المسيح الفادى فى الاسكندرية سنة ٦٨م.

ودعا الرسول يعقوب الى الإيمان العملى بالفادى (يع ٢:١)، بينما طالب القديس بطرس الرسول المؤمنين فى كل مكان - بضرورة التبشير بإسم السيد المسيح المُخلّص وقال: «نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس. الخلاص الذى فتش وبحث عنه انبياء (العهد القديم) الذين تنبأوا عن النعمة التى لأجلكم، (أى التى نلتموها بدم المسيح)....» (١ بط١: ٩ - ١٠). وما أحوجنا اليوم الى خُدّام أمناء لنشر رسالة الخلاص بين كل الناس.

ودعا القديس بطرس الى المحافظة على هذا الإيمان الثمين، المُسلّم من القدّيسين (والذين استشهدوا من أجله) وقال مُحذراً: «واحترسوا من أن تنقادوا بضلال الأردياء (الهراطقة الذين ينكرون الفداء) فتسقطوا من ثباتكم (فى الرب وفى إيمانه)، ولكن إنموا فى النعمة (=بوسائطها)، وفى معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح» (٢ بط ٣:١٤،١٨).

ونفس الأمر حذّر منه الرسول يهوذا (غير الإسخريوطى). وقال فى رسالته للمؤمنين فى زمانه: «أيها الأحبّاء، إذ كنتُ أصنع كل الجهد لأكتب لكم عن الخلاص المشترك، اضطررت أن أكتب إليكم واعظاً أن تجتهدوا لأجل الإيمان المُسلّم مرة للقديسين» (الرسل).

ثم أوضح لهم أنه قد ظهر أُناس معاندون يُنكرون خلاص الفادى يسوع «الإله الحكيم مخلصنا، له المجد والعظمة والقُدرة والسلطان». وحذر المؤمنين من سلوكهم الهرطوقى السلبى.

وشرح القديس يوحنا الحبيب - فى سفر الرؤيا- الموجه الى كنائس آسيا الصُغرى السبع، عمل المسيح الكفارى، وأنه له المجد: «قد أحبنًا وغسّلنا من خطايانا بدمه» (رؤ ١:٥) ثم طّوب كل المؤمنين المستفدين بهذا الخلاص المجيد، ووصف بعض ما ينتظرهم - فى حضرة الرب- فى ملكوته السعيد (رؤ ٢١).

✠ ✠ ✠

كلمة أخيرة:

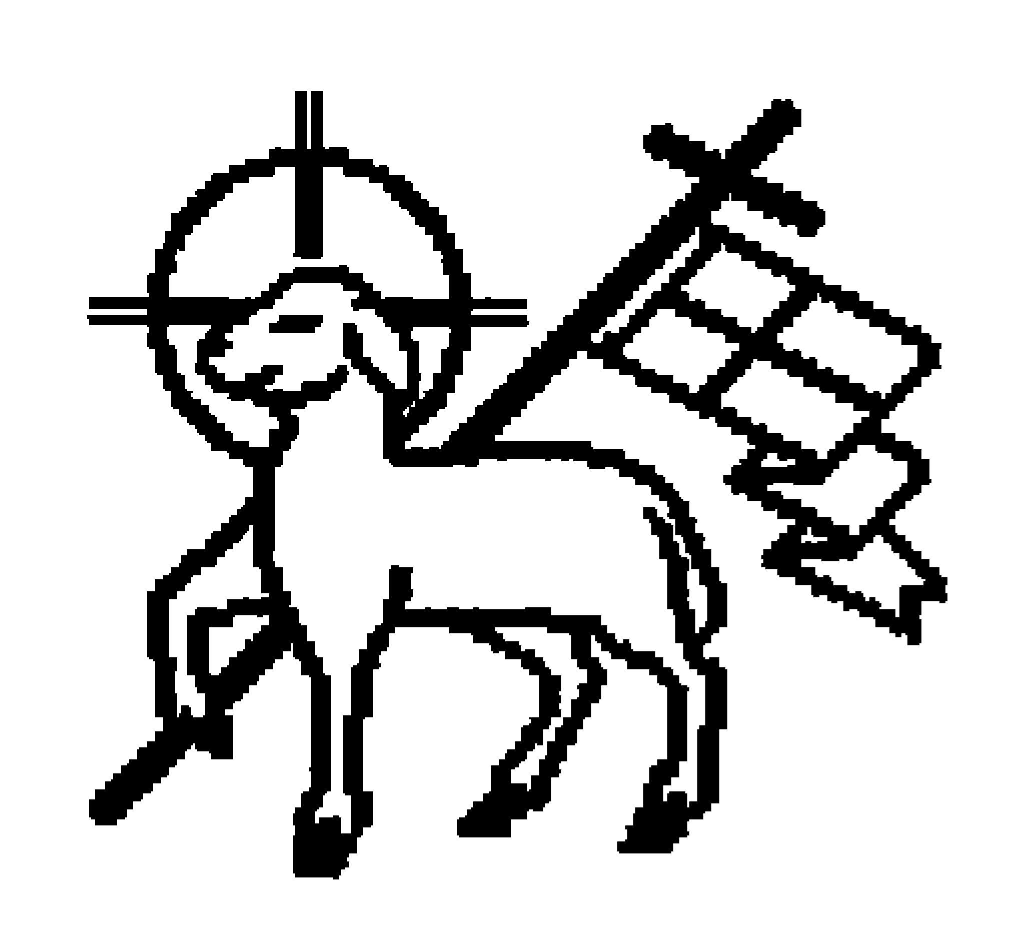
أخى الحبيب... إذا كانت الخطية - بكافة صورها - تجلب العار والمرار والدمار، وتؤدى إلى ضياع المستقبل الأرضى والأبدى، وتدفع بالشرير والمعاند والقاسى إلى المرض البدنى والنفسى والعصبى، والى فقدان ماله وعياله، وصحته وسمعته... الخ.

واذا كان الله قد خلّص المسيحى من الخطية الموروثة، وهو مستعد أيضاً، أن يرحم الخاطىء الحزين، والمدين له، مهما كانت خطاياه وآثامه وذنوبه وسيئاته، وشروره كثيرة، وثقيلة على قلبه.

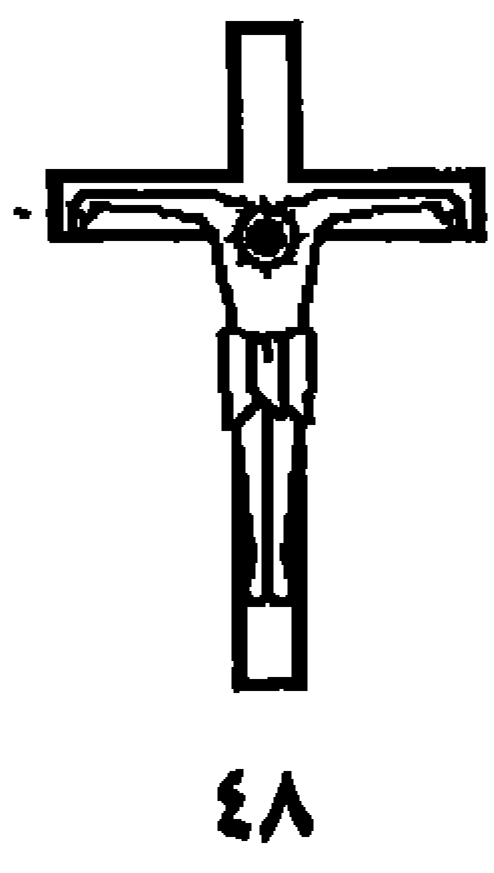
فمن عدم الحكمة ألا يتهاون المرء فى موضوع خطير جداً جداً وهو «خلاص النفس» (وخلاص أهله وأبنائه وكل معارفه). بل من الخطر الشديد أيضاً أن يُحرم المرء من مُتعة الأبدية، ويعيش حياة شقية وتعيسة وقاسية فى الدنيا فى عذاب أبدى أيضاً، لاسيما وأن عُمر الإنسان محدوداً جداً، وقد يموت سريعاً (أو يموت فجأة)، دون توبة أو ترك للخطايا والشرور.

ويتساءل الرسول: «كيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟!» (عب ٢:٣) ويتساءل رب المجد قائلاً: «ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟! أوماذا يُعطى الإنسان فداءً عن نفسه؟!» (مت ١٦:٢٦).وقال الروح القدس لكل نفس «إحسبوا أناة ربنا خلاصاً» (٢ بط ٣:١٥).

ومن الجدير بالذكر أن علاج الخطية الآن سهل وميسور ومجانى، فى المستشفى الروحى (الكنيسة)، وبأدوية روحية فعّالة. وها هو الفادى المحب ـ يفتح يديه، ويمد ذراعيه لكل من يأتى إليه، ويقول«تعالوا الىّ يا جميع المتعبين وثقيلى الاحمال وانا اريحكم» (مت ١١:٢٨) ليتك تقبل دعوة الخلاص، وتدعو الآن كل الناس، وتشكر الله على عطاياه، وعلى تمتُّعك به، فى دُنياه وسماه، آمين.



الفهرس



نظرة علي
العقائد المسيحية الكبرى
رقم الإيداع ١٦٣٤٦ / ١٩٩٩

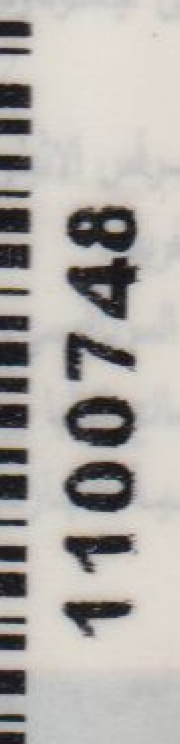
الترقيم الدولى 977-12-0443-2

هذا الكتاب

يضمن أربعة من كبرى عقائد الكنيسة الهامة، التي تتعلَّق بالتجسد والفداء والخلاص والكفارة، مستمدة من الكتاب المقدس، ومن أقوال الآباء القديسين ومن المصادر المسيحية الأصلية، مع ذكر أمثلة كتابية كثيرة لتأييد تلك العقائد، وتوضيح ما يلزم من التعريفات الخاصة بكل عقيدة، وبركاتها فى حياة المؤمن، كتاب هام لكل ولكل فرد.

الموسوعة القبطية الشاملة

١- كيف تتخلص من الغضب وتعب الأعصاب.
٢- الملاك الحارس للإنسان والتوابع من الجان.
٣- هل في العالم فرح وسلام دائم؟؟
٤- زكريات خاصة ومعجزات لقداسة البابا كيرلس.
٥- عذاري حكيمات (١).
٦- سيرة وتعليم القديس الانبا أغاثون وآخرون.
٧- العقائد المسي... الخلاص- الكفا...
٨- سيرة الشهي... اوجينى.
٩- سيرة السائح ... المدن الخمس ...
١٠- مخطوط اباهو...
١١- القس مقار و...
١٢- الخدمة الرو... الخدام).



مكتبة المحبة
٣٠ ش شبرا ت/ فاكس: ٥٧٥٩٢٤٤ - ٧٧٧٤٤٨